

زيارة إلى الهند ومسارات قطار الفكر

في المنطقة المعروفة باسم طورعابدين (في جنوب شرق تركيا) ، دير الزعفران ، المصنوع من الأحجار المنسوجة بدقة مع بعضها ، والتي شكّل كل منها بالحياة الروحية السريانية ، المحبوبة . عاش دير الزعفران متشابكاً داخل التاريخ السرياني ، وبسبب ذلك التاريخ أصبح نصباً افتراضياً.

على منحدر مهيمن على بعد خمسة أميال شرق ماردين ، يحمل دير الزعفران ماضيه حتى يومنا هذا. تم بناؤه فوق معبد ما قبل المسيحية ، في القرن الخامس الميلادي. في وضعه الكريم ، بجوها الأصيل والصوفي ، إنه دير نادر ، قادر على مواجهة الناس بأبعاد داخلية ، وقادر على تحويلهم إلى تناغم داخلي.

يقدم هذا الدير مع تاريخه البساطة في الحياة. تأسس ، مثل الأديرة السريانية الأخرى ، في القرون الأولى للإيمان المسيحي ، وتبنّى مبدأ حب المسيح غير المشروط ، مع أهداف العيش في الحياة الروحية وتطويرها. قدّم خدمة كبيرة للإنسانية في مجالات العلم والثقافة. كانت الفترة الأكثر سطوعاً القرنين التاسع والعاشر ، عندما اشتهرت مدرسته الثانوية (الكليريكية) الدينية ، ودورها في دراسة المنطق ، وجميع العلوم الطبيعية.

في السنوات الطويلة من تاريخه ، أقام الدير ٢١ بطريركاً ، و ٩ كاثوليكياً ، و ١٢٠ من الأساقفة والعديد من الرهبان والكهنة والكتاب والمعلمين السريانيين المشهورين. حتى عام ١٩٣٢ ، خدم ديرالزعفران ما مجموعه ٦٤٠ عاماً كمركز أبوي للمسيحيين السريان. أكثر من أي شيء آخر ، هذا ما جعله بيتاً دينياً مشهوراً.

كان البطريرك الأخير للخدمة في ماردين ودير الزعفران مار اغناطيوس الثالث شاكرو. في عام ١٩٣١ ، من أجل بقاء الأمواج في الكنيسة وتأمين السلام ، غادر إلى الهند. في ١٣ فبراير ١٩٣٢ عندما توفي بنوبة قلبية في الهند ، عين مسؤولو الكنيسة السريانية هنا ذلك اليوم عيد القديس اغناطيوس إلياس الثالث. استقبل يوم إلياس بشكل جيد. يحتفل المسيحيون هنا في الهند بالعيد باسم إلياس مع احتفالات مجيدة على شكل كرنفال. يأتي مئات الآلاف من الناس من بعيد (٤٠٠-٥٠٠ كيلومتر) ، إلى دير القديس اغناطيوس حيث يكرس قبره واسمه ، ويمشي على طول الطريق بشكل جماعي ، بعضهم على أقدام عارية. حتى لو لم نتعلم مشاعر هؤلاء الحجاج وارتجافهم الذين التقينا بهم على طول طريقهم ، ومن بينهم غمرنا أنفسنا ، كان من الممكن الحصول على بعض الإحساس بتفانيهم وإيمانهم.

سنويًا ، تعين بطريركية أنطاكية السريانية في دمشق أسقفًا حصرياً مختلفاً لترأس الاحتفالات في الهند. فبراير ٢٠٠٦ تلقى أسقف ماردين السريانية الامتياز.

في عام ٢٠٠٦ ، من ٩ إلى ٢٠ فبراير ، عاش وفد من ثمانية أشخاص من ماردين وإسطنبول ، مع المطران مار فيلوكسينوس صليبيا أوزمان ، أياماً كاملة وغنية معاً في كيرالا بالهند. تألفت مجموعتنا من: ربان جبريل اكورت من دير الزعفران ، وسوبي غول ومورات أوزبك من مجلس إدارة ماردين السريان ، وسيت سوزين وزوجته إيميل ، أمانويل أباسي وزوجته سيمرا من مجلس إدارة إسطنبول السرياني ، وأنا يوسف بغطش. لأن البطريرك إغناطيوس الثالث إلياس شاعر ولد في ماردين وذهب إلى الهند من دير دير الزعفران ، أثار حضور وفدنا ماردين هناك ذكريات مميزة وأعاد الحياة إلى الماضي. وهذا ما يفسر سبب قيام زيارتنا بإضفاء نوع من الإثارة على الحاضرين.

عندما يقوم المسافر السرياني بجولة في الكنائس السريانية في الهند ، يبدأ في فهم وجود العلاقات التاريخية بين ماردين والهند. الوجود هنا في الهند عبر التاريخ لأشخاص من ماردين على مستوى الأساقفة المطران ، والكاثوليكوس ، والبطريرك ، الذين تحملوا الكثير من التضحيات من أجل الخدمة ، والذين وضعوا حياتهم هنا ، يشكل الوريد الوداجي لهذه العلاقات التاريخية . الكنائس والأديرة التي تسمى بأسمائها ، تحافظ على ذاكرتها حية كدين للإخلاص. في أيام معينة من السنة ، يحيي المسيحيون هنا هؤلاء الأشخاص المحترمين. لأن هؤلاء الأفراد لم يكونوا مصدر إلهام فحسب ، بل ضخوا دماً جديداً في الكنائس.

في كل مكان وكنيسة زرناها ، احتضنتني التجارب الفكرية والروحية لهؤلاء الأشخاص ، الذين كانوا قادرين على تصفية التعاليم التي تتمحور حول المسيح من خلال منظور ممارسة الحياة الأرضية. كانت هيمنة أوراق الشجر الخضراء شديدة للغاية. شعرت في بعض الأحيان أنني دخلت في عمق عميق وغير محدود من الغطاء الحرجي حفرة عميقة من الخضرة الشاذة. بينما كنا نسير ، كنت أحاول أن أشعر بتجارب الآباء السريان من بلاد ما بين النهرين الذين لا يستطيعون إلا أن يخبروا عن مشاكلهم وضغوطهم على مسارات اللف والرياح المغطاة باللون الأخضر إلى اليمين واليسار. كلما شعرت ، كلما زادت الصعوبات التي تحملوها من أجل الكنيسة والإيمان ، ظهرت أمام عيني مثل فيلم. كل مكان قمنا بزيارته أعادني إلى المستقبل وروحي إلى العصور الماضية.

هنا ، فإن الطبقات الاجتماعية والحياة معاً ، في التسامح المتبادل ، والنسيج والخروج من بعضهما البعض مثل الشعر المجذول ، يجذب انتباه المراقب. على الرغم من هذه الحشود الضخمة من الناس ، فإن غياب رجال الشرطة ، باستثناء أولئك الذين يوجهون حركة المرور عند التقاطعات ، يظهر المناخ الاجتماعي اللطيف. ترعاها أديان مختلفة مثل الهندوسية والإسلام والمسيحية. لم يكن الأمر كما لو أنني لم أفكر ، عندما رأيت يدي العرج ، والمشقة ، والمعاقين على جانبي الطريق ، الممتدة على الصدقات ، أنني كنت أعيش في ونام بين الأضداد. الطريقة التي يتمسك بها هؤلاء الأفراد بالحياة أثناء اسودادهم مع التعرض ، يترك انطباعاً حارقاً في القلب.

خلال زيارتنا هنا ، قام أسقفنا بأداء خمس قداسات في كنائس مختلفة مكتظة. في الخطب بعد الجماهير ، كان يشرح المهمة التاريخية للبطريركية السريانية في الهند ويمرر رغبات قداسة البطريرك مار أغناطيوس زكا عيواص. إلى جانب ذلك ، سيذكر الإسهامات الإيجابية لاماردين ودير الزعفران للكنيسة السريانية بالهند ويشير إلى الحاجة إلى إيلاء اهتمامهم لإحياء اللغة السريانية هنا.

إن حفلات الاستقبال الرائعة التي مررنا بها عند مدخل الكنائس في الأماكن المختلفة التي زرناها توضح كل شيء. كان من الجدير حقاً رؤية حفل الاستقبال الذي قدمه الكاثوليكوس الشرقيون مار باسيليويس الأول توما لأسقفنا المتروبوليتي ، الذي جاء في وضع سفير بطريركي ، خلال افتتاح ميتم ومأوى وملجأ اسمه كيفا ، ومكرس لقداستنا البطريرك سيدنا مار اغناطيوس زكا عيواص. لقد كانت لحظة فريدة بالنسبة لنا. تحولت الجبال والصخور والسهول والأشجار إلى كتل من الإنسانية. الترانيم ، التي غنت من أعماق قلوبهم ، رددت في جمال الطبيعة الخضراء وصمتها ، احتضنت الجميع. كنت أواجه مشاهد تذكرني بدخول المسيح إلى القدس. جلبتني التجربة إلى الأعماق ، إلى العصور المبكرة للإيمان المسيحي. الخطاب الذي ألقاه أسقفنا في تلك المناسبة لمس حواسي مثل المياه التي تلتف على الشاطئ ، وأثبت أن شخصين منفصلين يمكنهما الشعور بنفس المشاعر.

بقدر ما أستطيع أن ألاحظ ، كانت زيارة السفير البطريركي لها آثار إيجابية على جسم الكنيسة السريانية في الهند. جعلتنا الشعارات والتزكية من الحشود نشعر بتفانيهم لبطريركية أنطاكية ورئيسها.

لا يزال بإمكانني الشعور بالسعادة التي ولدتها تجارينا. خط آخر من التفكير جعلني أحسب نفسي محظوظاً لأنني تمكنت من رؤية وطن غاندي. خلال زيارتي ، كان يرافقني البر الداخلي الذي يشرح كلمات غاندي ، **"عش الحياة كما تريد أن تراها"** في كل مكان.

بقدر ما أرى ، فإن المشاركة النشطة للمسيحيين الهنود في القداس والتراتيل من خلال الحفاظ على التقاليد القديمة حية هنا ، تنتشط أرواحهم وتجعلهم كاملين. مع هذه الآثار ، ولكن بطروف مختلفة ، يبدو أنهم قد فتحوا الطريق جزئياً إلى السعادة الاجتماعية والداخلية. على الرغم من بؤسهم وفقدهم ، فإن ما يمكن أن يكون سطحياً بالنسبة لنا ، يتضح لهم أنه عمق حقيقي. يسعدني أن أشهد الحياة الداخلية ، من خلال الأصالة الحقيقية ، ترسيخ الفكر الكامل خلال القداس. أعتقد أنه سيكون من المفيد العودة إلى فهمنا الخاص ، كما كان في العصور القديمة ، بعض الاستخدامات المتميزة الموجودة في نظام الكنيسة وطقوسها التي تمارس هنا.

من المفيد دراسة بساطة الحياة الداخلية المنعكسة على الخارج ، هنا في الهند. الحياة الروحية التي تتطور من خلال الجماهير والمؤتمرات والندوات والاجتماعات والأنشطة المماثلة المختلفة التي تقام تحت رعاية الكنيسة ، تكسر الناس من حياة سطحية سطحية وتحملهم إلى نمط حياة أعمق. متطلبات الانضباط الأرواح لا تنتمي إلى رجال الدين فقط. كل الأفراد الذين يتذكروهم المسيح كإخوة وأخوات يسعون جاهدين للوفاء

بمتطلبات الانضباط الروحاني. عندما يكون هذا هو الحال ، يشعر الناس بالفرح في جوهر عدم الانتماء. وهكذا فإن الناس لا يخلصون فقط من مرض الاعتناء بأنفسهم فقط ، ومن مخاوفهم ؛ كما أنهم يرمون الأعباء على قلوبهم ومتاعب أرواحهم. إن هتافات الفرحة الصادقة التي يرافقون بها التراتيل ، والأيدي التي يرفعونها بجديّة نحو السماء بين جماهير الكنائس ، تشير إلى إطلاق هائل. إن لغة جسد اليدين وامتدادها إلى السماء يجلب أيضًا الشعور بالعطش لحياة الرب ، جنبًا إلى جنب مع الشعور بالحنين الروحي في حياة المصلين.

يقول القديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠) ، "لكي يتم العثور على الله ، يجب أن يبحث عنه بشكل أكثر حلاوة ؛ لكي يبحث عنه الرجال بحماسة أكبر ، يجب العثور عليه". رداً على ذلك أقول إن أعظم كنز أعطاه الرب للبشر هو الحياة. يمر المسار نحو اكتشاف هذا الكنز من خلال شرح ما هو الإنسان. الشخص الذي يحاول فهم الإنسان هو الذي يعيش مع ضمير الواجب والرسالة. مثل هذا الشخص في قلب هذا الكنز ووسطه. إنهم يختبرون الفرحة الغني الناجم عن إعطاء قيمة لأثمن كنوز الله على الأرض وحبها ومساعدتها وتطويرها.

تعليق آخر للقديس أوغسطينوس حول الحياة الاجتماعية هو ، "العالم كتاب رائع. أولئك الذين لا يخرجون من منازلهم يقرأون صفحة واحدة فقط منها". هذه الزيارة إلى الهند ، إلى جانب تجديد روحي وإثارة عواطف ، أيقظت في نفسي جمعيات ووعي وأفكار متميزة. كان الأمر مثل رحلة عودة إلى الجوهر. كان الأمر كما لو أنني لست في الهند. امتدت جميلتي وتميلت إلى ذراعي الرحلة ، وبينما كانت تشارك بنشاط في جماهير الكنائس ، كانت تقوم أيضًا بتمارين فكرية في معبد طريقي ، بعد أن غرقت في عمق التأملات.

بينما كنت أحاول أن أفهم لماذا يكون البشر ، الذين يسعون إلى إيجاد حلول لكل مشكلة ، عاجزين عندما يحاولون حل مشكلتهم الكبرى - الانسداد الأخلاقي والروحي ، أصبحت مقتنعة بأن الحياة ليست ضحلة لدرجة أن تترك للصدفة . وقد تعزز هذا الإقناع أكثر بعد لقاء طبيب سرياني عالج مع فريقه مئات الأشخاص يوميًا دون مقابل ، وقال لنا "الله أعطاني بحرية ، وأنا أعطي الناس بحرية." ما زلت أحاول أن أستوعب العروض الجميلة والمعرفة العميقة التي قدمها هذا الطبيب ، رجل العلم. لقد أخذ مبدأ "لا ، ما الذي يمكنني الحصول عليه؟ ولكن بالأحرى ، ماذا يمكنني أن أعطي للناس؟" وتعلمت أنه إذا استطاع الشخص أن يشكل حياته وفقًا للمبادئ الروحية ، فإن بعض المشكلات تحل نفسها بسهولة. يمر هذا الطريق من خلال نظام جديد للذات: الروح هي قائد الجسد.

الروح مثل بلورة متعددة الأوجه مصنوعة من مادة الحب. هذه البلورة مغطاة بطين يسمى الأنا. معنى الحياة هو تنظيف الوحل وجعل جوهر اللعان البلوري. بدون هذا اللعان ، أو جعل التألق ، لن يتطور الحب ، الذي هو طاقة الحياة العالية. الشخص القادر على اكتشاف نفسه الداخلي وجعل جوهره يتألق عن طريق تنظيف الطين ، ناضج. يجد هذا الفرد نفسه الحقيقي من خلال الوجود. المقياس الأساسي الذي يضعه في

نظام قيمته ليس المظهر الخارجي بل الإنسان الداخلي. كما قال يسوع المسيح ، "ليس ما يدخل في الإنسان هو الذي يفسده ، ولكن ما يأتي من داخل الإنسان" (مرقس ١٨: ٧). أولئك الذين لا يستطيعون اكتشاف الذات الداخلية هم أولئك الذين لا يستطيعون تنظيف الوحل الأناني. على الرغم من أنهم بالغون ، فهم أطفال. هؤلاء الأفراد يجدون أنفسهم بالملكية. معيار نظام القيمة الخاص بهم هو المظهر الخارجي.

هذا هو السبب في أن كلمات جون كريسوستوم (٣٤٠-٤٠٤) ليس لها مكان بينها: "مهما كان الأمر لصالح أخيك ، قل ذلك فقط. لا تضيف شيئاً واحداً لذلك. لأن الله أعطاك فمًا ومغرورًا لهذا الغرض. أعطها حتى تقدم الشكر وتبني أخيك".

لا ينبغي أن ننسى أن الجمال الداخلي والروحي يوفر أهمية بالغة للحياة الاجتماعية والدينية للفرد المسيحي. لأن الشيء القيم في نظر الله ليس المظهر الخارجي بل المظهر الداخلي. يشرح العهد الجديد الأمر بهذه الطريقة: "فلتكن زينتك في جسدك الداخلي ، بجمال التواضع اللامتناهي" (بطرس الأولى ٣: ٣).

كيفما تريد أن ترى الحياة ، هكذا ستظهر. في الهند رأيت ما أردت رؤيته. ربما لأنني ركزت على الوردية أكثر من الأشواك. لكني أعتقد حقًا أن هذه الأنواع من الزيارات مفيدة لاكتشاف المعتقدات المقيدة لدينا ولتبادلها مع تمكين المعتقدات.

أنا لا أعرف عن الأعضاء الآخرين في هذا الخراب ، ولكن بالنسبة لي لم تكن هذه الزيارة مثل قراءة صفحة جديدة فحسب ، بل كانت مثل قراءة كتاب جديد بالكامل. إذا كنت ترغب في الصعود إلى قمم روحك ، يمكنك أيضًا تجربة رحلة إلى كنائس الهند. ولكن يجب أن تتأكد من أن مسارات قلبك مفتوحة. وبقدر ما يستطيع الفرد اجتياز المنحدرات الروحية العالية ، فسيرى أنه يتعلم وينمو باستمرار.

وسيكون قادرًا على استيعاب كلمات الشاعر الهندي العظيم رابيندرانات طاغور بشكل أفضل: "لقد نمت وأحلم أن الحياة كانت فرحة. استيقظت ورأيت أن الحياة كانت الخدمة. تصرفت وإذا كانت الخدمة فرحة".

ملفونو يوسف بغطش